**مقياس الإعجاز س1 ماستر عقيدة**

**المحاضرة السادسة :**وجوه الإعجاز البلاغي

احتار العلماء في تحديد جهات الإعجاز البلاغي للآية القرآنية وتتلخص آراؤهم في ثلاثة مذاهب:

**الأول:** يتمثل الإعجاز البلاغي في ثلاثة أشياء فصاحة الألفاظ صحة المعاني، نظم هذه المعاني في أحسن نظم التأليف وأشهر من قال به كما رأينا الإمام الخطابي.

**الثاني:** يتمثل الإعجاز البلاغي في النظم وأشهر من قال به عبد القاهر الجرجاني.

**الثالث:** يتمثل الإعجاز البلاغي في وجوه عديدة أطلق عليه اسم أبواب البلاغة مثل الإيجاز والتشبيه والاستعارة ... وأشهر من قال به الرماني.

وتعتبر آراء الرماني مرجعا هاما في البلاغة فكثير من علماء البلاغة ينقلون عنه ويستشهدون بآرائه.

أما بالنسبة للاستدلال بها في الإعجاز فهناك من وافقه فيها مثل "ابن أبي الأصبع"**([[1]](#footnote-2))** الذي أضاف إلى ما قال أبوابا أخرى، وهناك من خالفه في بعضها مثل الباقلاني.

والحق أن بعض هذه الأبواب التي ذكرها الرماني لا نكاد نجد مفسرا أو بحثا في الإعجاز يمر على آية من الآيات التي تشتمل عليها بدون أن ينبه عليها، وهذا يدل على أنها من أهم الجهات في إعجاز هذه الآيات ومن أهم هذه الأبواب ما يلي:

**الإيجاز:**

عرفه الرماني فقال: "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"**([[2]](#footnote-3))**.

وقال "ابن سنان الخفاجي"**([[3]](#footnote-4))**: "هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ"**([[4]](#footnote-5))**.

ويمكن أن نقول أن الإيجاز "هو الإتيان بالمعنى الكثير بقليل من اللفظ مع الإبانة والإفصاح".

وقسمه العلماء إلى قسمين: إيجاز قصر وإيجاز الحذف:

1- **إيجاز القصر:** عرفه الرماني: "والقصر بُنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف"**([[5]](#footnote-6))**.

وعرفه الزركشي**:** "أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة"**([[6]](#footnote-7))**.

ومن الأمثلة عليه في القرآن قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾([[7]](#footnote-8))**.

قال ابن أبي الأصبع المصري في الإشارة إلى بلاغة إيجازها ينظر إلى جليل هذه الاستعارة وإلى عظيم إيجازها وما انطوى عليه من المعاني الكثيرة في ثلاث لفظات"**([[8]](#footnote-9))**.

ومن الإيجاز قوله تعالى فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾**([[9]](#footnote-10))**.

فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق لأن قوله: "**خذِ العفو**" أمر بإصلاح قوة الشهوة فإن العفو ضد الجهل قال الشاعر: خذي العفو مني تستديمي مودَّتي.

وقوله: "**وأعرض عن الجاهلين**" أمر بإصلاح قُوَّة الغضب أي أعرض عن السفهاء واحلم عنهم، ولا تكافئهم على أفعالهم هذا ما يرجع إليه منها، وأما ما يرجع إلى أمته فدل عليه بقوله: "**وأمر بالعرف**"، أي بالمعروف والجميل من الأفعال"**([[10]](#footnote-11))**.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾**([[11]](#footnote-12))** فهي تتضمن معاني كثيرة بأوجز عبارة، وقد قارن غير واحد بين هذه الآية وبين الحكمة الجاهلية التي تقول: "إن القتل أنفى للقتل" فبينوا أن الآية أبلغ منها من عدة وجوه، منهم الرماني الذي ذكر أنها أبلغ من أربعة وجوه**([[12]](#footnote-13))**.

ومنهم الرازي الذي ذكر أنها أبلغ منها من ستة وجوه**([[13]](#footnote-14))**.

وذكر "الخطيب القزويني"**([[14]](#footnote-15))** في ثمانية وجوه**([[15]](#footnote-16))**.

وعدها الزركشي هذه الوجوه فذكر منها عشرين وجها**([[16]](#footnote-17))**.

ونقف على ما ذكره القزويني في هذه الآية وما استخلصه من وجوه:

**أحدهما**: أن عدة حروفه ما يناظره منه وهو في "القصاص حياة" عشرة في التلفظ، وعدة حروفه أربعة عشر.

**ثانيها**: ما فيه التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق، لكونه أدعى إلى الاقتصاص.

**ثالثها**: ما يفيد التنكير "حياة من التعظيم أو النوعية".

**رابعها**: اطراده بخلاف قولهم، فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره.

**خامسها**: سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم.

**سادسها**: استغناؤه عن تقديم محذوف، بخلاف قولهم فإن تقديره القتل أنفى للقتل من تركه.

**سابعها**: أن القصاص ضدُّ الحياة، فالجمع بينهما طباق.

**ثامنها**: جعل القصاص كالمنع والمعدن للحياة بإدخال "في" عليه على ما تقدم.

**2- إيجاز الحذف:** كما عرفه الرماني: "فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها، بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"**([[17]](#footnote-18))**.

فهو تضمين الكلام معنى أو أكثر بحذف لفظ أو ألفاظ الدالة عليه وهذا الوجه من أدق مسالك البيان قال عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسالك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"**([[18]](#footnote-19))**.

ومن فوائده التفخيم والتهويل قال حازم القرطاجني: (إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها على الحال، قال: وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾**([[19]](#footnote-20))** فحذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ما شأنه ولا يبلغ مع ذلك كله ما هناك لقوله عليه الصلاة والسلام: "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"**([[20]](#footnote-21))**)**([[21]](#footnote-22))**.

ويأتي الإيجاز بحذف حرف أو كلمة أو جملة أو أكثر فمن حذف الحرف قوله تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم: ﴿ **قَالُواْ تَالله تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾**([[22]](#footnote-23))**.

قال "الزمخشري"**([[23]](#footnote-24))**: "أراد لا تفتؤا، فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون"**([[24]](#footnote-25)**

ونحوه: "فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا"**([[25]](#footnote-26))**.

ومن أمثلة حذف الكلمة قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ**﴾"**([[26]](#footnote-27))**.

قال عبد القاهر الجرجاني: "ففيها حذف مفعول به في أربعة مواضع، إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تذوذان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا فسقي لهما غنمهما"**([[27]](#footnote-28))**.

ومن أمثلة حذف الجملة قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا**﴾**([[28]](#footnote-29))** ففيه حذف جواب الشرط.

قال الزمخشري: "جوابه محذوف والمعنى: ولو أن قرأنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها "أو قطعت به الأرض" حتى تتصدع وتتزايل قطعا "أو كلم به الموتى" فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف"**([[29]](#footnote-30))**.

**المحاضرة السابعة :**

**- التشبيه:**

عرفه "السكاكي"**([[30]](#footnote-31))**: "إنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"**([[31]](#footnote-32))**.

عرفه ابن أبي الأصبع المصري بقوله: "هو إخراج الأغمض إلى الأظهر"**([[32]](#footnote-33))**.

وقال الرماني: "هو العقد على أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل من أن يكون في القول أو في النفس"**([[33]](#footnote-34))**.

وعرفه "شهاب الدين النويري"**([[34]](#footnote-35))** بقوله: هو "دلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه"**([[35]](#footnote-36))**.

ويستخلص من هذه التعريفات أن التشبيه هو إبراز المعنى المراد بتمثيل شيء بشيء في صفة أو صفات يشتركان فيها.

وتتميز التشبيهات القرآنية بعدة خصائص تميزها عن الكلام البشري "هو غورها في أعماق النفس الإنسانية وسبرها لمظاهر الكون والطبيعة واستقطابها لملامح الحس والإدراك البصري والسمعي وسبك ذلك كله في صياغة موحدة تنظر إلى هداية الإنسان وتهيئة ذهنه بما يحس أمامه وبين يديه وما يدركه واعيا في حياته العامة لذلك جاءت التشبيهات القرآنية ذات قدرة فائقة ولمحات جديدة"**([[36]](#footnote-37))**.

ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

***أولا*: *أنه يستمد عناصره من الطبيعة:***

وذلك لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي نظرا لمعايشته اليومية لتلك المظاهر ونستدل على هذا المظهر بصورتين فقط.

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾([[37]](#footnote-38))**.

فالسراب ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعا، فيغرهم مرآها ويمضون إلى السراب بظنونه ماء، يسعون إليه يريدون أن يطفئوا حرارة ظمئهم ولكنهم لا يلبثون أن تملأ الخيبة قلوبهم حينما يصلون إليه بعد جهد جهيد فلا يجدون شيئا مما كانوا يملون، إن القرآن يبرز هذا السراب صورة قوية توضح أعمال الكفرة، يحسبونها مجدية نافعة وما هي بشيء، وقال السيوطي: "وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه، أخرج ما لا يحس وهو الإيمان إلى ما يحس وهو السراب، والمعنى الجامع هو بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة"**([[38]](#footnote-39))**.

وقال مالك بن النبي في هذا: "ما نجده في الآية من بلاغة حين تستخدم خداع السراب المغم، لتؤكد بما تلقيه من ظلال تبدد الوهم الهائل لدى إنسان مخدوع يكتشف في نهايته حياته غضب الله الشديد في موضع السراب الكاذب سراب الحياة"**([[39]](#footnote-40))**.

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾**([[40]](#footnote-41))**.

يجعل القرآن في الحجارة المثال الملموس لقسوة قلوب اليهود، ألا ترى أن القسوة عندما تخطر بالذهن، تخطر إلى جوارها الحجارة الجاسية القاسية.

***ثانيا****:* ***الكائنات الحية:***

بالإضافة إلى التشبيه بالظواهر الطبيعية عمد القرآن الكريم إلى الكائنات الحية من الحيوانات فوجد فيها ملائمة لضرب الأمثال وتصوير الأحداث وصدق التشبيه ومسايرة الواقع فاختار أوهنها لتشبيه ضعف العباد وهو العنكبوت وأغباها لمن يحمل العلم ولا ينتفع به وهو الحمار، وأتعبها لمن يشتد لهاثه لا إلى غاية مجدية معينة وهو الكلب وهكذا، وتأتي هذه الكائنات في الاستعمال التشبيهي متناسقة مع التصوير الفني لحقائق الأشياء وطبيعة الموصفات وأوجه الشبه المناسبة بما يحقق الجانب البلاغي في مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

1- قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾**([[41]](#footnote-42))**.

قال السيد قطب: "فهؤلاء العاكفون على أصنامهم التابعين لأهوائهم يسيئون صنعا ويحسبون أنهم محسنون، يبذرون جهودهم في بناء الأوهام واتخاذ الأنداد لله تعالى، فهم في عمل لا جدوى فيه ولا جهد لا تعويض عنه فيبرز تشبيههم بالعنكبوت التي تجهد نفسها في بناء بيت ليست به مقومات البيوت ولا إحكام البناء فهو نتاج واهن ضعيف وكذلك عبادتهم في الضعفة والضعف"**([[42]](#footnote-43))**.

2- وحينما يروى المولى عز وجل اليهود وقد كلفوا ثقل الأمانة وأدركوا سر العقيدة وتحملوا عبء التوراة ثم نكصوا على أعقابهم وتخلوا عن كل ذلك، فهم لا يعلمون بمضمونها ولا يصيغون سمعا لندائها، تاركين وراءهم الحق المبين فهم بذلك على درجة من الغباء والضياع، حينما يلاحظهم هكذا فتشبيههم بالحمار وهو يحمل كتبا نفيسة، قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾**([[43]](#footnote-44))**.

**المحاضرة الثامنة**

**الاستعارة**:

هي لون من ألوان التصوير في القرآن، ومن خلالها كان يعبر عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس فهو يعمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيها ألوانها وظلالها ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فإذا هي شاخصة تسعى.

"فالألفاظ المستعارة ألفاظ موحية لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المنظر للعين وتنقل الصورة للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا"**([[44]](#footnote-45))**.

والاستعارة هي ضرب من "ضروب التشبيه"**([[45]](#footnote-46))** وتكون العلاقة بين المعنى الأصلي للفظ بالوضع الأصلي والمعنى في الاستعمال المجازي للمشابهة.

فإذا قال القائل عن رجل شجاع معبرا عنه بكلمة الأسد يقول عبد القاهر الجرجاني: "فالتشبيه ليس هو الاستعارة ولكن الاستعارة كانت من أجل التشبيهه"**([[46]](#footnote-47))**.

وقد عرفها الرماني "هي تعليق العبارة عن غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"**([[47]](#footnote-48))**.

وقال السيوطي: هي "اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي والأصح أنها مجاز لغوي لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا الأعم"**([[48]](#footnote-49))**.

وقال صاحب الإرب في فنون الأدب "فهي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء في المبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا وتقديرا"**([[49]](#footnote-50))**.

ونستطيع أن نجمل ذلك بقولنا: "الاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه بادّعاء أن أحدهما هو بعينه الآخر وذلك مبالغة منه في التعبير عن شدة التشابه بينهما".

وتتميز الاستعارة القرآنية بخصائص جمالية تميزها على الكلام البشري، منها ما يلي:

1- اختيار الألفاظ المتناسقة والمؤتلفة مع بعضها ومع معانيها.

ونلمس ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾**([[50]](#footnote-51))**.

فهذه الآية تضمنت أربع استعارت أربعا منها: "استعارة القرية للأهل، واستعارة الذوق في اللباس، واستعارة اللباس في الجوع، والخوف وهذه الاستعارات كلها متلائمة متناسبة فالرغبة في الرغبة يتبعها ما يلائمها من الخوف والجوع"**([[51]](#footnote-52))**.

2- استخدام الألفاظ الموضوعة للدلالة على الأمور الحسية في الدلالة على الأمور المعنوية، فتصبح بذلك الثانية محسوسة ملموسة كما في قوله سبحانه: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ** **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**﴾**([[52]](#footnote-53))**.

فقد استعملت لفظة الأودية الموضوعة أصلا للدلالة على المنخفض بين مرتفعين في الدلالة على الأغراض الشعرية التي مقرها الأفئدة فتحولت هذه المعنويات الفكرية المجردة إلى أودية سحيقة، وقد اختار القرآن لفظة الأودية لما بين الفكر والوادي من تناسب في العمق والبعد والخفاء والغموض.

"وقال صاحب تلخيص البيان في مجازات القرآن "وقيل أن معنى ذلك تصرف الشاعر في وجوه الكلام من مدح وذم واستزادة وعتاب وغزل نسيب ورثاء وتشبيه فشبهت هذه الأقسام من الكلام بالأودية المتشعبة والسبل المختلفة"**([[53]](#footnote-54))**.

*المحاضرة التاسعة :*

منشأ البديع وعلاقته بالإعجاز القرآني

تطلق كلمة البديع في اللغة "**المخترع**"**([[54]](#footnote-55))** على غير مثال وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾**([[55]](#footnote-56))** أي خالقهما على غير مثال، ومن هنا كان إطلاقهم كلمة البدعة على الحدث الجديد في الدين.

وتطلق الكلمة في اصطلاح النقد والبلاغة على "الخصائص الفنية المتعلقة بصنعة الكلام وتأليفه ونظمه"**([[56]](#footnote-57))**.

وتعني الخصائص الفنية الاستعمالات الخارجية عن أصل وضع اللغة أو التي يراد بها إفادة المعنى أو قوة فيه وعلى ذلك قول" ابن رشيق القيرواني"**([[57]](#footnote-58))**: "والإبداع إتيان الشاعر بالمستطرق الذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر … فإذا تم الشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق"**([[58]](#footnote-59))** وعرفه محمد زغلول السلام "والبديع هو كل ما استجد من فنون القول في الشعر المحدث أو هو ما أكثر فيه المحدثون من فنون التعبير"**([[59]](#footnote-60))**.

ولا يكاد الباحث في النقد الأدبي يجد للكلمة ذكرا بالمعنى الاصطلاحي في عصور اللغة الأولى أي قبل تعرضهم للقرآن الكريم "فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو"**([[60]](#footnote-61))**.

ذلك أن العرب القدماء يستخدمون اللغة وفيها من الصور الفنية ما يأتي غير مقصود ولا مختص باسم ولا صفة، وإنما يصدر عن الفطرة والسليقة، ويفهمون الغاية ومنه يتأثرون به من غير أن يعرفوا له لقبا أو يضعوا عليه اسما يكون له علما.

فلما جاءهم القرآن ورأوا فيه من ذلك النمط العالي، وتحداهم إلى أن يأتوا بمثله نظروا فيه نظرة الحيران من جهة تساميه ورأوا فيه من التشابيه والاستعارات وغيرها من الخصائص التي أطلق عليها مؤخرا اسم البديع ما جعلهم يوجهون النظر إلى بعض تلك الخصائص.

وقد استعمل الجاحظ في القرن الثالث الهجري كلمة البديع حين وصف الراعي بأنه كثير "البديع" في شعره وبشارا بأنه حسن "البديع" والعتابي بأن شعره يذهب في "البديع" وحين ذكر أن "البديع" مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت كل لسان وقال في قول الشاعر:

هم ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد

قوله: هم ساعد الدهر إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع**([[61]](#footnote-62))**.

وتتبع هذه الصور واستطاع أن يجمع أن منها خمسا وهي الاستعارة والتجنيس ورد الإعجاز والمطابقة والمذهب الكلامي ورأى هذه هي جملة أبواب هذا الفن، وبذلك قال: "قد قدمنا من أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا"**([[62]](#footnote-63))**.

فألف "ابن المعتز"**([[63]](#footnote-64))** كتابه، وكان أول من وضع هذه الفنون بين دفتي كتاب تحت اسم البديع، أول من وضع ذلك العلم، وحصر البديع في خمس وذكر بعد هذه الخمسة بعض محاسن الكلام والشعر وبلغت عنده ثلاثة عشر فنا وهي "الالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج، وتأكيد المدح، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والإفراط في الصفة وحسن التشبيه ولزوم ما يلزم وحسن الابتداء"**([[64]](#footnote-65))**، وترك للناس الحرية على أن يقفوا بالبديع عند الأبواب الخمسة السابقة أو أن يضيفوا إليها قال: "فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتفي على هذه فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ورأى فيه غير رأينا فله اختياره"**([[65]](#footnote-66))**.

المحاضرة العاشرة :

وتتابعوا العلماء والنقاد على ذلك فكتب فيه "جعفر بن قدامة"**([[66]](#footnote-67))** وأبو هلال العسكري وبن رشيق القيرواني وتكلم فيه ابن أبي الأصبع، وعرض عليه الخطابي والرماني وهم بصدد الحديث في إعجاز القرآن فقد تعرضوا لأسلوب القرآن وبيان جوانبه البيانية محاولين إثبات إعجازه البياني بمقارنته بالشعر العربي وخصائص البيان العربي بصفة عامة، تلك الصفة التي اعتمد عليها العرب الأوائل بطريقة شعرهم الفطرية الحصيفة المرهفة، التي ابتنى القرآن على نهجها أروع أسلوب وأعذب بيان وتحداهم بأن يأتوا بمثله فبهتهم وحيرهم وأعلن عجزهم.

"فالقرآن الكريم لم يلتزم الإكثار من الفنون البلاغية في معظم مناحيه وإنما ضرب المثل الأعلى المعجز في كافة مواضيعه وفنونه، وتفوق أسلوبه البياني برسم الألوان البلاغية في ذرى الإبداع والروعة والجاذبية فتجلى للأبصار والأفئدة شيقا عظيما صافيا نقيا من أي تكلف أو تأنق مفتعل"**([[67]](#footnote-68))**، وإن التاريخ الأدبي قد أعطانا صورة عن الإكثار من فنون البلاغة في الأجناس الأدبية وذلك هو أدب الصنعة "مذهب البديع" "لقد تعمد أصحابه أن يحشدوا فيه أكبر قدر يستطيعونه من هذه الفنون ويحشرونها بمناسبة مفتعلة أو غير مناسبة، حتى خلا أدب الصنعة من العاطفة والروح بقدر خلوه في التأنق والتصنع والزخارف اللفظية والمعنوية"**([[68]](#footnote-69))**.

فالروعة الفريدة في القرآن أنه حين يسوق الفنون البلاغية خصبة وفيرة، يزجها بعيدة غاية البعد عن جمود التكلف وجفاء التصنع ويتجلى فيه صفاء السجية العربية وأصالتها حتى عند الإكثار من الفنون البلاغية فلا تشعر فيه بشيء مما تعانيه في أدب الصنعة من ضيق نفسي وعاطفي ومكابدة ذهنية وفي هذا نقف مثلا على قول الله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾**([[69]](#footnote-70))**، والذي استخرجه منها ابن أبي الأصبع المصري أحد وعشرين ضربا من البديع وعددها سبع عشرة لفظة.

وتفصيل ما جاء فيها من البديع: "المناسبة التامة في ابلعي واقلعي والمطابقة اللفظية في ذكر السماء والأرض والمجاز في قوله (يا سماء) فإن الحقيقة: ويا مطر السماء اقلعي، والإشارة في قوله (وغيض الماء) فإنه سبحانه وتعالى عبّر بهاتين اللفظتين عن معاني كثيرة لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء والإرداف في قوله: "واستوت على الجودي" فإنه عبر عن استقرار بلفظ قريب من لفظ الحقيقة، والتمثيل في قوله: "قضي الأمر" فإنه عبر ذلك عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بُعد ما من لفظ الحقيقة إلى لفظ الإرداف، والتعليل لأن غيض الماء على الاستواء، وصحة التقسيم حين استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه، والاحتراس في قوله: "وقيل بعدا للقوم الظالمين" محترسا من توهم من يتوهم أن الهلاك ربما عمَّ من لا يستحق الهلاك فجاء سبحانه بالدعاء على الهالكين ليعلم أنهم مستحقو الهلاك.

والانفصال فإن لقائل أن يقول: إن لفظة القوم مستغنى عنها، فإنه لو قيل "وقيل بعد للظالمين" لتم الكلام، والمساواة لأن لفظ الآية يزيد عن معناه ولا ينقص عنه وحسن النسق في عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقعت أولا فأولا فإنه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع ثم عطف على ذلك أمر السماء بالإقلاع ثم عطف غيض الماء على ذلك ثم عطف على ذلك قضاء الأمر بهلاك الهالكين ونجاة الناجين ثم عطف على ذلك استواء السفينة على الجودي ثم عطف على ذلك الدعاء على الهالكين.

وائتلاف اللفظ مع المعنى لكون كل لفظة لا يصلح في موضعها غيرها والإيجاز لأنه سبحانه اقتص القصة بلفظها مستوعبة، وبحيث لم يُخّل منها شيء في أقصر عبارة، بألفاظ غير مطولة.

والتسهيم لأن من أول الآية إلى قوله تعالى: "أقلعي" يقتضي آخرها، والتهذيب لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، كل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة والتركيب سليم من التعقيد وأسبابه.

وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه والتمكين لأن الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها ولا مستدعاة.

والانسجام وهو تحذر الكلام بسهولة وعذوبة سبك مع جزالة لفظ، كما ينسجم الماء القليل مع الهواء وما في مجموع ألفاظ الآية من الإبداع وهو الذي سمي به هذا الباب إذ في كل لفظة بديع وبديعان، لأنها كما تقدم سبع عشرة لفظة تضمنت أحدا وعشرين ضربا من البلاغة سوى ما يتعدد من ضروبها فإن الاستعارة وقعت في موضعين وهما الابتلاع والإقلاع"**([[70]](#footnote-71))***.*

1. - عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع العدواني (585-654هـ)، من علماء الأدب، ومن مصنفاته: "بديع القرآن" و"تحرير التحبير" و"الجواهر السوانح في سرائر القرائح".لمزيد من التفصيل ينظر شذرات الذهب ج5 ص265، والأعلام ج4 ص156. [↑](#footnote-ref-2)
2. - الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص76. [↑](#footnote-ref-3)
3. - هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي (423-466هـ)، شاعر أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره وله "ديوان الشعر" و"سر الفصاحة".لمزيد من التفصيل ينظر الأعلام ج4 ص267. [↑](#footnote-ref-4)
4. - ينظر سر الفصاحة، سنان الخفاجي، ص199. [↑](#footnote-ref-5)
5. - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص76. [↑](#footnote-ref-6)
6. - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي جمال حمدي الذهبي، إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 1415هـ -1994م، ج3 ص291. [↑](#footnote-ref-7)
7. - سورة الحجر الآية 94. [↑](#footnote-ref-8)
8. - ينظر ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ص29. [↑](#footnote-ref-9)
9. - سورة الأعراف، الآية 199. [↑](#footnote-ref-10)
10. - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة البديع والبيان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان دون ط، ص186. [↑](#footnote-ref-11)
11. - سورة البقرة، الآية 179. [↑](#footnote-ref-12)
12. - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص78. [↑](#footnote-ref-13)
13. - الرازي، تفسير الكبير، ج5 ص56. [↑](#footnote-ref-14)
14. - هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي (666-739هـ)، من أدباء الفقهاء ولى الخطابة بدمشق، من كتبه: "تلخيص المفتاح في المعاني والبيان" و"الإيضاح" في شرح التلخيص، و"السور المرجاني من شعر الأرجاني"، التهذيب ج7 ص123. لمزيد من التفصيل ينظر الأعلام ج7 ص66. [↑](#footnote-ref-15)
15. - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة البديع والبيان، ص185. [↑](#footnote-ref-16)
16. - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3 ص292. [↑](#footnote-ref-17)
17. - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص76. [↑](#footnote-ref-18)
18. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص170. [↑](#footnote-ref-19)
19. - سورة الزمر، الآية 73. [↑](#footnote-ref-20)
20. - مسلم، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها، حديث رقم 5. [↑](#footnote-ref-21)
21. - ينظر حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص391. [↑](#footnote-ref-22)
22. - سورة يوسف الآية 85. [↑](#footnote-ref-23)
23. - الزمخشري ( 467 هـ- 538هـ) محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري و من أشهر كتبه: "الكشاف"في تفسير القرآن، "أساس البلاغة"، "مقدمة الأدب" و"الفائق في غريب الحديث" و"المستقصي في الأمثال"، لمزيد من التفصيل ينظر الأعلام ج 8 ص55 [↑](#footnote-ref-24)
24. - الزمخشري، تفسير الكشاف، ج2 ص498. [↑](#footnote-ref-25)
25. - لامرئ القيس: سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حال على حـال

    فقلت يمين الله أبرح قـاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

    فقوله: "حالا على حال" واقع موقع الحال المؤكدة للتشبيه أي حال منطبقا على حال ومساويا له كقولك: "سواء بسواء" وهاهنا أي فخوفتني بالقوم، فقلت: يمين الله أبرح أي لا أبرح قاعدا. وحذف "لا" النافية للمضارع بعد القسم كثير لأمن اللبس، ولأنه لولا تقديرها لوجب اقتران الفعل بلا جواب القسم أو بنون التوكيد أو بهما، ويمين نصب بمحذوف أي أحلف يمين الله فهو كالمصدر النائب عن فعله. لمزيد من التفصيل ينظر الكشاف، ج2 ص498. [↑](#footnote-ref-26)
26. - سورة القصص، الآية 23- 24. [↑](#footnote-ref-27)
27. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص182. [↑](#footnote-ref-28)
28. - سورة الرعد، الآية 31. [↑](#footnote-ref-29)
29. - الزمخشري، تفسير الكشاف، ج2 ص 529. [↑](#footnote-ref-30)
30. - وهو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج الدين (555-626 هـ)، عالم بالعربية والأدب ومن مصنفاته: "مفتاح العلوم" و"رسالة في علم المناظرة". لمزيد من التفصيل ينظر شذرات الذهب ج4 ص122، الأعلام ج9 ص294. [↑](#footnote-ref-31)
31. - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص42. [↑](#footnote-ref-32)
32. - المصدر نفسه، ج2 ص42. [↑](#footnote-ref-33)
33. - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص80. [↑](#footnote-ref-34)
34. - النويري (677هـ- 733هـ) هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري، وله من المصنفات "نهاية الإرب في فنون الأدب". ولمزيد من التفصيل ينظر الأعلام، ج1 ص195. [↑](#footnote-ref-35)
35. - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب مطابع كوستاتسوماس القاهرة بدون ط، ج7 ص38. [↑](#footnote-ref-36)
36. - رابح دوب، مجلة العلوم الإنسانية العدد 3، جانفي 1992 دورية تصدرها جامعة الأمير عبد القادر. [↑](#footnote-ref-37)
37. - سورة نور، الآية39. [↑](#footnote-ref-38)
38. - السيوطي، البلاغة القرآنية، تحقيق السيد الجميلي، دار المعرفة للتوزيع القاهرة مصر بدون ط، ص60. [↑](#footnote-ref-39)
39. - مالك بن النبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة أحمد صابور شاهين، دار الفكر الجزائر ودار الفكر دمشق سوري، ط4، 1408هـ-1987م، ص294. [↑](#footnote-ref-40)
40. - سورة البقرة، الآية 74. [↑](#footnote-ref-41)
41. - سورة العنكبوت، الآية 41. [↑](#footnote-ref-42)
42. - صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب الجزائر، دون ط، ص71. [↑](#footnote-ref-43)
43. - سورة الجمعة، الآية 5. [↑](#footnote-ref-44)
44. - بكري أمين، التعبير الفني في القرآن دار الشروق بيروت لبنان ط4، 1400هـ –1980م، ص197. [↑](#footnote-ref-45)
45. - والاستعارة تغاير التشبيه وإن كانت مبنية عليه، فأركان التشبيه أربعة: مشبه ومشبه به وأداة التشبيه ووجه التشبيه.

    والاستعارة لابد فيها من حذف أحدهما أي لا يبقى في الاستعارة من أركان التشبيه الاستعارة إلا في ضرب واحد المشبه (المستعار فيه) أو المشبه (المستعار)، عبد القادر حسين، القرآن والصور البيانية، دار المنار للطبع، القاهرة، ط1، 1413هـ -1991م، ص194. [↑](#footnote-ref-46)
46. - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد الأسكندراني، محمد بمسعود، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط2، 1418هـ -1990م، ص187. [↑](#footnote-ref-47)
47. - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص72. [↑](#footnote-ref-48)
48. - السيوط، الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص43. [↑](#footnote-ref-49)
49. - شهاب الدين النويري، ج7 ص49. [↑](#footnote-ref-50)
50. - سورة النحل، الآية112. [↑](#footnote-ref-51)
51. - بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص222. [↑](#footnote-ref-52)
52. - الشعراء، الآية 224-225. [↑](#footnote-ref-53)
53. - الشريف الرضِيَّ، ترخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار أحياء الكتب، عيسى البابي الحلبي القاهرة، 1374هـ –1955م، ص259. [↑](#footnote-ref-54)
54. - لسان العرب، ج2, لفظ البديع. [↑](#footnote-ref-55)
55. - سورة البقرة، الآية 117. [↑](#footnote-ref-56)
56. -عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص278. [↑](#footnote-ref-57)
57. - هو الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي (390-463هـ)، أديب ناقد ولد في مسيلة بالجزائر، ومن كتبه: "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، و"الشذوذ في اللغة"، و"أنموذج الزمان في شعراء قيروان"، و"ديوان شعره"، و"شرح موطأ مالك". لمزيد من التفصيل ينظر الأعلام ج2 ص204. [↑](#footnote-ref-58)
58. - ينظر العمدة ابن رشيق، ص235 [↑](#footnote-ref-59)
59. - ينظر تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، محمد زغلول سلام، ، ص27. [↑](#footnote-ref-60)
60. - بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط2 1373هـ- 1952مـ ص169. [↑](#footnote-ref-61)
61. - بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، ص169. [↑](#footnote-ref-62)
62. - القاضي عبد القاهر الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص28. [↑](#footnote-ref-63)
63. - هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن رشد العباسي أبو العباس (247-296هـ)، الشاعر المبدع، أولع بالأدب وله مصنفات منها: "الزهر والرياض" و"البديع" و"الآداب" و"طبقات الشعراء. لمزيد من التفصيل ينظر شذرات الذهب ج2 ص222، وفيات الأعيان ج4 ص76، الأعلام ج4 ص262. [↑](#footnote-ref-64)
64. - بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، ص170. [↑](#footnote-ref-65)
65. - محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص28. [↑](#footnote-ref-66)
66. - جعفر بن قدامة بن زياد أبو القاسم (ت319هـ)، أديب من كبار الكتاب من أهل بغداد له شعر رقيق ومصنفات في صنعة الكتابة وغيرها، وروى عنه أبو الفرج الأصبهاني. لمزيد من التفصيل ينظر الأعلام ج1 ص129. [↑](#footnote-ref-67)
67. - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر، دار المعارف بمصر ط7، ص125. [↑](#footnote-ref-68)
68. - حسن ضياء الدين عتر، بيان المعجزة الخالدة، دار النصر سوريا حلب ط1، 1395هـ -1975م، ص273. [↑](#footnote-ref-69)
69. - سورة هود، الآية 44. [↑](#footnote-ref-70)
70. - ينظر بديع القرآن لأبن أبي الأصبع المصري، ص340-343. [↑](#footnote-ref-71)